حرب يوغرطان
و أطوار التوسع الروماني

❖ حرب يوغرطان:

- كانت نهاية قرطاجة بداية لعصر جديد ببلاد المغرب، يتحول فيه الصراع إلى صراع قوى توسعية وقوى محلية تبحث عن كيانها الوحدوي؛ في جدلية بين فكرة الإمبراطورية والوطنية.
- كانت بداية الاحتلال الروماني الرسمي بإنشاء روما **إقليما رومانيا** جديدا على الممتلكات القرطاجية (146 ق.م)، ويحمل هذا الإقليم الممتد على منطقة ساحلية صغيرة اسم إقليم إفريقية الرومانية.
- وعين له حاكم، الذي سعى إلى رومنة الناحية دون جدوى، إذ كانت تحمل روحا بونية قوية.
- وكانت **المملكة النوميدية** قد انتقل حكمها من ماسينيسان إلى ابنه مسيبسا، وكان عهده كعهد أبيه متميزا بالولاء المتين لروما، مع ازدهار حضاري وزراعي.
- ويتوفى سنة 119ق.م. وقد كان آذربعل وهيمصال ابناه الشرعيان، أما يوغرطان فكان ابنه بالتبني، وهو ابن أخيه مستنبعل.
- ونصت وصية الملك قبل موته على أن يكون الملك بين هؤلاء الثلاثة؛ لكنهم يختلفون، ثم يتفقون على قسمة المملكة بينهم، ولا يبعد أن تكون رزما سببا في ذلك.
- فحاز يوغرطان نوميديا الغربية الممتدة من الملوية إلى بجاية، وتقاسم الآخران البقية.
- كان **يوغرطان** قد ولد سنة 154ق.م، ونال شهرته في حرب "نومانس" وقد وصف بقوته وهيبته وخاصة ذكائه؛ فقد كان مصداقا لاسمه يوغرطان أعظمهم.
- لم يرض يوغرطان هذه القسمة؛ وتحين الفرصة لتوحيد مملكة جده، فيحين له ذلك بعد سقوط حكومة طبقة الفرسان بروما وحلول الطبقة الأرستقراطية مكانها، فكان أول أعماله أن قتل أخاه هيمصال، وقد كانت العداوة بينهما مستحكمة، ثم زحف على مملكة أذربعل، فيهزم جيشه بالقرب من سيرتة (113ق.م)، لكن يمنعه التجار الإيطاليون من دخول المدينة.
- لم تغامر روما بالتدخل العسكري في هذه الأثناء؛ فقد كانت مهددة بهجوم قبائل **"التيوتون"**، وتكتفي بامر يوغرطان بوقف الحرب، الذي يواصل حصاره لسيرتة، فتسقط بيده (صيف 112ق.م)، بعد استسلام آذربعل وأعوانه الإيطاليين الذين قتلوا جميعا.
- اعتبر مقتل الإيطاليين سببا كافيا لإعلان **الحرب**، تلك الحرب التي ستستمر مدة، إلى أن يخونه صهره بوخوس، ويسلمه لأعدائه بعد خديعة، ليقضي يوغرطان نحبه في سجن "توليانوم" سنة 104ق.م.

❖ نتائج حرب يوغرطان:

1. أما في **الساحة النوميدية** فقد أصبحت المنطقة مقسمة إلى مملكة بوخوس الذي منحته روما عربونا على خيانته الثلث الغربي لنوميديا.
2. وقسم شرقي نصب عليه "غودة" أخ يوغرطان ملكا؛ ممالك نوميدية ضعيفة تابعة بالولاء لروما.
3. واقتطعت جزء من نوميديا الشرقية وضمتها لإقليمها الإفريقي.
4. وقد أعطى انتصار ماريوس الأسبقية للحزب الشعبي في تنفيذ برنامجه السياسي، الرامي إلى منح أراض زراعية لقدماء المحاربين، وهو السبب الرئيس الذي حرك التوسع الروماني في إفريقيا.
5. أظهرت الكتابات الإفريقية أن قانون "*Lex Appuleia*" لسنة 103 ق.م قد منح قدامى محاربي ماريوس مائة "إيوقيرا" (*Iugera*) من الأراضي النوميدية.
6. أما **روما**؛ فقد أحدثت الحرب فقدان السيناتو لهيبته بعد اتضاح ارتشاء أعضائه وفسادهم.
7. وأثبتت الأحداث إمكان تشكيل العامة والفرسان جبهة قوية في وجه أعضاء السيناتو الأرستقراطي، وأن يسيطروا على السياسة الخارجية للجمهورية.
8. واستفادت طبقة الفرسان من الحرب فاستأنفت أعمالها التجارية بإفريقيا بل ووسعتها.

9. وأخيرا أهم نتيجة لهذه الحرب، أنه تمكنت روما من شد نفوذها وسيادتها على المنطقة النوميدية، وأدخلت المنطقة الموريطانية في ولائها إلى حين توسعها الفعلي بها.

❖ أطوار التوسع الروماني بعد يوغرطان:

- اتخذ التوسع الروماني وتنظيمه الإداري أطوارا مرحلية في سبيل إحكام السيطرة على بلاد المغرب.
- فروما لم تكن لترض عن الاتجاه البربري النزّاع لإظهار الشخصية المغربية.
- فرغم تدخلها المستمر بسياسة التفرقة والحماية، لم تنجح في كبث هذه الروح البربرية المعاندة.
- على أنها استطاعت من توسيع نفوذها، وتقسيم ممتلكاتها على حلفائها.
- وتابعت سياساتها في تقسيم البلاد على أبناء الملوك، لاضعافها، كما فعلت بعد موت الملك "غودة".
- ودخلت المنطقة الليبية كلها في ملك روما (96ق.م) بموت ملكها "أبيون البطلمي"ورثتها منه بالوصية!
- وبعد موت الملك يوبا الأول (46 ق.م) يضم "**يوليوس قيصر**" ممتلكاته (نوميديا الشرقية) إلى روما.
- وقرر لذلك السير على تنظيم جديد للممتلكات الرومانية المغربية؛ فتم تحويل إفريقيا الرومانية إلى "إفريقية القديمة"، وشرق مسيليا القديمة إلى "إفريقية الجديدة"، ومنح المغامر "سيتيوس" (*Sittius*) النواحي الغربية لمسيليا القديمة؛ مع بقاء نوميديا الغربية (مسيسيليا القديمة) وموريطانيا في حكم آل بوخوس.
- وبذلك أصبحت البلاد الشرقية للمغرب خاضعة للاستعمار الروماني، الذي توطد بإنشاء المستعمرات والتوطين الروماني ونشر الرومنة، في حين بقيت البلاد الغربية للمغرب في حكم الدولة المستقلة المحمية.

❖ أطوار التوسع الروماني إلى العصر الإمبراطوري:

- بعد نهاية الحرب الأهلية الرومانية دخل المغرب بقوة كساحة للتنافس على السيادة داخل روما.
- فسعى **أكتافيوس** أغسطس (31 ق.م- 14م) بعد انتصاره لتنظيم الأقاليم المغربية، واتجه سنة 27 ق.م إلى تحويل الأقاليم الآمنة التي تم التوسع فيها قديما إلى "سيناتوريات" أو "بروقنصليات"، وحولت الأخرى القريبة الاضطراب إلى "بريتوريات".
- فتم بذلك توحيد إفريقيا الجديدة والقديمة في "البروقنصلية السيناتورية الإفريقية"، ودخلت في سيادتها الكنفدرالية السيرتية لسيتيوس.
- وفي سنة 33 ق.م قد ضم أكتافيوس ممتلكات ملك **موريطانيا** بوخوس الثاني –الذي توفي دون وريث - غرب نوميديا وموريطانيا إلى روما، واستغل الأمر في بناء مستعمرات جديدة إيغالا في سياسة الرومنة.
- على أنه سيحول سنة 25 ق.م إدارة هتين الولايتيين إلى ملك وكيل هو يوبا الثاني، الذي سيتوج باسم عائلته ظاهرا وباسم روما باطنا.
- وبدخول العصر الإمبراطوري الروماني يتتابع الأباطرة في سياسة توسيع التواجد الروماني.
- اتخذ الإمبراطور " **تبيريوس** دوريوس" (37- 54م) سياسة متجهة لإخضاع القبائل البربرية، التي ستكلفه ثورة تاكفارناس.
- كما لا يجد "**كاليڤولا**" (41- 41م) أحسن من اغتيال "بتولميوس" لضم موريطانيا من جديد إلى روما.
- وليؤكد "**كلوديوس**" (41- 54 م) هذا الواقع التوسعي بتقسيمه الجديد (42م) لبلاد المغرب إلى: الإقليم السيرتي الليبي ويحكمه بروقنصل؛ وإقليم البروقنصلية الإفريقية ويضم الناحية الطرابلسية والتونسية وعليه بروقنصل، ونوميديا يحكمها "ليڤاتو إمبراطوري"، ثم موريطانيا القيصرية من سطيف إلى الملوية، ثم موريطانيا الطنجية من الملوية إلى المحيط، هتين الأخيرتين إعتبرتا داخلتين في ممتلكات الإمبراطور، ويحكمهما فرسان يحملون لقب "البروكوراتور" (*Procurator*).
- ومع كل تقسيم جديد ازداد عدد المستعمرات الرومانية، وتجزأت بلاد المغرب، وكان من أواخرها تقسيم "**دقلديانوس**"، الذي جزء إفريقية ثلاثة ولايات ونوميديا ولايتين وموريطانيا ثلاثة ولايات.

❖ أسباب اضطراب التنظيم الروماني ونتائجه:

إن هذا الاضطراب في تنظيم بلاد المغرب، وسياسته التوسعية، لم يكن دون سبب معقول:

1. كانت **المشاكل** السياسية الداخلية في روما بين القناصل ومجلس الشيوخ ثم الحروب الأهلية، ثم الصراع بين الأباطرة والسيناتو عاملا حاسما في اختصاص بلاد المغرب بتنظيمات متغايرة إلى حد ما.
2. فضلا على أن **طبيعة أهالي** البلاد، اضطرت ثوراتها وحركاتها الاجتماعية السياسة إلى اتخاذ تدابير تلائم كل ناحية.
3. كما أن **الحكام الرومان** المحليين قد زاد نفوذهم بشكل اضطر الأباطرة لمحاولة الحد منه بإدخال إجراءات تنظيمية.
4. كما لم تكن **أطماع الأحزاب** الرومانية المتنازعة داخل السيناتو ببعيدة عن بعض هذه التنظيمات، لتتوازى فيها حصص "الغنيمة المغربية" بين رجالات الطبقات المتنفذة على المال والسيادة.
5. ولم تكن **سياسة الرومنة** ببعيدة أيضا عن هذا التنظيم المتغير المتجدد.
6. ورغم كل محاولات روما في رومنة بلاد المغرب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا إلا أنها لم تفلح إلا في القليل من المدن الشمالية، بخلاف المناطق الداخلية التي اصطدمت فيها بممانعة بربرية قوية.
7. بل لم تستطع السيطرة الكاملة على مناطقها المحتلة.
8. وقد مهدت سياساتها المختلفة والمتناقضة أحيانا لثورات اجتماعية ودينية وسياسية قوية.

أهـ.